

من التراث الشرطي (٢)

عبدالرحيم حاج يحيى

مركز الدراسات والبحوث -
اكاديمية تاييف العربية للعلوم الامنية



يوماً في نصف النهار في زقاق خال في بعض أطراف بغداد فدخله، فوجد فيه زقاقاً لا ينفذ فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوكة سمكة كبيرة وعظم الصلب وتقدير ذاك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلاً.

فقال: أهل هذا الزقاق لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة لأنه زقاق إلى جانب الصحراء لا ينزله من معه شيء يخافه، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة وما هي الآلية يجب أن يكشف عنها فاستبعد الرجل هذا وقال هذا فكر بعيد، فقال: اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها، فدق باباً غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماء، فخرجت عجوز ضعيفة فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيهم والواقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها: فهذه الدار من يسكنها وأوماً إلى التي عليها عظام السمك؟ فقالت: والله ما تدري على الحقيقة من سكانها، إلا أن فيها خمسة شباب كأنهم تجار وقد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهائراً إلا كل مدة طويلة وأنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون الشطرنج والترد، ولهم صبي يخدمهم وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ ويدعون الصبي في الدار يحفظها فإذا كان سحراً بليل جاءوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم قال: فقطع الوالي استسقاء الماء ودخلت العجوز وقال للرجل: هذه صفة لصوص أم لا؟ فقال: بلى فقال: توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها قال: وأنفذ في الحال واستدعى عشرة من الرجال وأدخلهم إلى سطوح الجيران، ودق هو الباب فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه فما فاتهم من القوم أحد وحملهم إلى مجلس الشرطة وقرروهم، فكانوا هم أصحاب الجناية بعينها ودلوا على باقي أصحابهم فقتلهم والواقي.

- في كتاب (أخبار الأذكىاء) لأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧) سرد (لحدث شرطي) جاء ذكره في سياق الإطراء شاهداً على الذكاء.. غير أن الحدث زاحر بأدوار خطيرة وجلييلة للعمل الشرطي مارسها ببراعة فذة (الواقي) (قائد الشرطة) في عهد المكتفي بالله في بغداد.

- الحدث كما سنرى فيه (المراقبة والتحري، والمداهمة، والقبض، والتحقيق.. فيه دلالات وأدوات فنية استخدمت في الكشف عن الجريمة، وإيقاعات الحدث في كافة الأطوار تدل على حذق وبصيرة ومهارة جديرة بالتأمل والدراسة.

- فما هي ذي «شوكة سمكة كبيرة» تسترعي (الواقي) قائد الشرطة فيلتقطها ويعرضها على ذوي الاختصاص (أصحاب المسالخ) لأن مثل هذه السمكة في هذا الزقاق بأطراف المدينة (أحد البيوت العشوائية) لا تسمح في نظره أحوال أهله شراؤها فتوصله هذه الشوكة كدليل إلى وكر الإجرام كما سنرى.

- إنها قصة تراكمت عليها حقب من الزمان وطواها التاريخ في ذمته ولكنها تنبض حية في الفكر العربي الشرطي تشهد بقيم المسؤولية وبالممارسة الرائعة وبالكفاءة العالية التي أهلت هذا الحدث أن يدوّن في غرة التاريخ وفي سفر أخبار الأذكىاء.

(قال الحسين بن الحسن الواقي كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله، فعمل للصوص في أيامه عملة عظيمة، فاجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله فالزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال، فتحير حتى كان يركب وحده ويطوف بالليل والنهار إلى أن اجتاز

